المخالفات العمرانية والتحولات الاجتماعية أية علاقة؟
حالة قصر ورقلة العتيق.

شواش عبد القادر
بوسماحة احمد
جامعة العربي بن مهيدي آم البواقي (الجزائر)

Résumé

Les mutations de la ville saharienne ont profondément transformé leur statut, leurs structures spatiales et sociales, leur économie et leurs modes de vie. Elles ne tiennent pas compte des traditions locales et mettent en péril la survie des ksour. Aujourd'hui, le cachet spécifique des villes sahariennes et leur harmonie avec l'environnement s'estompent peu à peu.

Ce papier traite les infractions dans les milieux urbains et leurs conséquences physiques, sociales et culturelles, sur le Ksar de Ouargla et les méthodes scientifiques appropriées pour faire face à cette situation.
Mots clés : Infractions urbaines - transformations sociales - l'architecture du sud - Ksour - méthodes –Identité.

ملخص:

عرفت العمارة الصحراوية تحولات عميقة في البنية الفيزيائية والوظيفية لا سيما ما تعلق بتغير استعمالات المجال والفضاءات العمومية في مجال التجارة بدون مراعاة خصوصيات العمران المحلي، إلى جانب المس والتعدي على الواجهات وتحويلها إلى غير الوجهة التي أنشأت من اجلها، الساحات العمومية اليوم أصبحت مهمشة، إذ طفت سلوكات فردانية انقسامية ، مكاسبها المزيد من التحصيل المادي حتى ولو كان ذلك على حساب العمران و الهوية ...كل هذا اخل بنوعية التوازنات المجالية واثر بشكل مباشر على الرصيد التراثي والانتماء الحضاري لهذه المجتمعات المحلية في الوقت الذي تعرف فيه دول الجوار اتجاه الى الصيانة و الحماية و الحفاظ على القيم العامة لهذه الأنسجة العتيقة باعتبارها مشهدا لعمارة المدينة العربية الإسلامية ووعاء للسياحة البيئية المستدامة .

التحولات العمرانية ليست وليدة الصدفة بل تدخل في سيرورة التحولات الاجتماعية العامة التي عرفتها مناطق الجنوب من خلال تصاعد وتيرة الحراك الاقتصادي والتدفقات السكانية بعد تردي الحالة الأمنية بالخصوص في العشرين سنة الماضية إلى جانب تأثيرات العولمة الجارفة، والمد الإعلامي الثقافي ، إلى تدني المداخيل لدى الأسر المحلية وتزايد البطالة واتجاه العديد من الأسر إلى التخلي على الضوابط التراثية أو من خلال ما له علاقة بالانتماء ...كل هذا زاد من تحفيز حدة تعقيد العلاقات الاجتماعية وتوجيهها إلى أن تكون أكثر سلبية على العمران.

الورقة البحثية تطرق تشخيص المخالفات العمرانية وخلفيات هذه التحولات وتداعياتها العمرانية والمجتمعية والثقافية، كما تقف على هذه الحالة من خلال الوقوف على دراسة علمية وعملية تمتد الى دراسات ميدانية كانت حول قصر تماسين وورقلة موجهين في النهاية الأساليب والطرق التي يمكن الاعتماد عليها في التعامل مع مثل هذه الحالات حتى لا تستفحل الظاهرة ويمكن احتواؤها.

الكلمات المفتاحية: المخالفات العمرانية – التحولات الاجتماعية – العمارة الصحراوية – القصور – الأساليب – الهوية

مقدمة: للعمران في الصحراء جذور تاريخية عميقة، مظاهر الحضرية والتمدن كانت مألوفة في القصور والمدن التاريخية منذ مئات السنين وازدهرت كمحطات للقوافل التجارية التي كان مسرحها الفسيح بين ضفتي (بحر الصحراء) منذ 10 قرون بذلك امتلكت ذاكرة حضرية غنية وجذور أصيلة في خلال ما يعرف بالقصور (حضرية أو قروية)[1].

[1]– خليفة عبد القادر. مدن الصحراء الجزائرية في تحولات. قصور الأمس مدن اليوم. ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الدولي: التفكير في المدنية مقاربات مختلفة. قسم علم الاجتماع جامعة خنشلة 2008. ص: 1

البيئات التراثية بما تحويه من مخزون ثري وثروة مستدامة العطاء ماديا و معنويا ، تساهم في ترسيخ الهوية الوطنية وحفظها للأجيال القادمة لمواجهة الانفصال كما أنها ممكنة للتواصل بين الأجيال ، و التي تمثل احد الثوابت المميزة لحضارتنا ، الى جانب إمكانية إسهامها في الارتقاء بمستوى الاقتصاد الحضري من خلال تثمين التراث و تفعيله في مجال السياحة الثقافية التراثية ، و التي يمكن رصد تأثيراتها في الأفاق لتنويع إيرادات التنمية المحلية الذاتية ، فهذه القيم المضافة يمكن تحصيلها انطلاقا من الفهم الجيد للديناميكية العمرانية المتسارعة بالمدن الصحراوية اليوم و التي تفوقت حتى على مدن الشمال الجزائري[2] فهذه الديناميكية مردها إلى الشغل و الأمن و الاجتذاب التجاري لساكنة الشمال إلى جانب اتجاه الفاعلين في تهيئة الإقليم الى تعمير الجنوب قصد تحقيق توازنات إقليمية في التوزيع السكاني ، هذه الحركية أدت إلى تجلي ثنائية في المشهد الحضري قصر ومدينة تقليدية في الاتجاه إلى التحول و التدهور تدريجيا أما تدخلات نقطية لم يكن بإمكانها احتواء تداعيات التغيرات و تعمير متسارع مخطط و غير مهيكل منافس للعمارة التقليدية و مؤثرا على الهوية المعمارية و الخصوصيات الاجتماعية الاقتصادية لساكنة الجنوب ، فهذا ما يدفعنا إلى ترشيد التعامل و الإدارة الجيدة مع هذه البيئات التراثية حتى يمكن لها ان تستدام من خلال مشاريع تعتمد معايير خاصة في مجال الحماية، و الأخذ بمفاهيم و تقنيات متطورة معتمدة في الحفاظ على المباني التاريخية و حماية المواقع التراثية.

1 –لمحة تاريخية عن قصر ورقلة: يعتبر قصر ورقلة أحد القصور الصحراوية التراثية الضاربة في التاريخ وقد تزامن ظهوره مع عدة قصور على غرار : (قصور بني عباس بولاية بشار و قصر قمار بولاية الوادي و قصر تيميمون بولاية أدرار، وقصور غدامس بالتراب الليبي...)،كما يرجع بعض المؤرخين نشأته إلى الفترة النوميدية ما بين القرن7 و 10 قبل الميلاد ، كما توجد مراجع ترجع نشأته إلى القرون الوسطى الإسلامية، كما دلت الدراسات على وجود علاقات و روابط وثيقة في التعامل مع الفينيقيين والقرطاجيين ، وهو ما تشير إليه بعض الآثار التي تمثل رمز الآلهة تانيت آلهة القرطاجيين في أعلى المداخل و في بعض البيوت بالقصر وقد أطلق عليه عدة تسميات منها (واحة السلاطين) أو (سلطنة الواحات) كما وصفها ابن خلدون ببوابة الصحراء مشيرا إلى أن أصل التسمية يعود إلى قبائل بن واركلا أو أوقلان أو ورجلان الزناتية البربرية الذين قدموا إلى المنطقة[3].

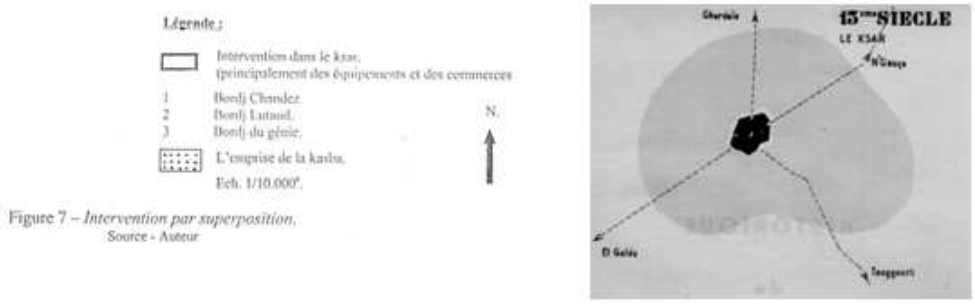

المخطط رقم :1 نشأة القصر كنواة للمدينة التقليدية ومركز المدينة الكولونيالية كعمران حديث

[2]- Marc Cote. **Dynamique Urbaine au Sahara**. Insaniyat (Revue algérienne d'anthropologie et science sociale) N^0 05 Mai – Aout 1998. Page : 89

[3] - بن عبد القادر خالد، وذان عبد الباري. **آثار التحولات العمرانية الحديثة على النسيج القديم. حالة قصر ورقلة العتيق**. مذكرة مقدمة لنيل شهادة مهندس دولة في التسيير والتقنيات الحضرية. جامعة ام البواقي. الجزائر .2011

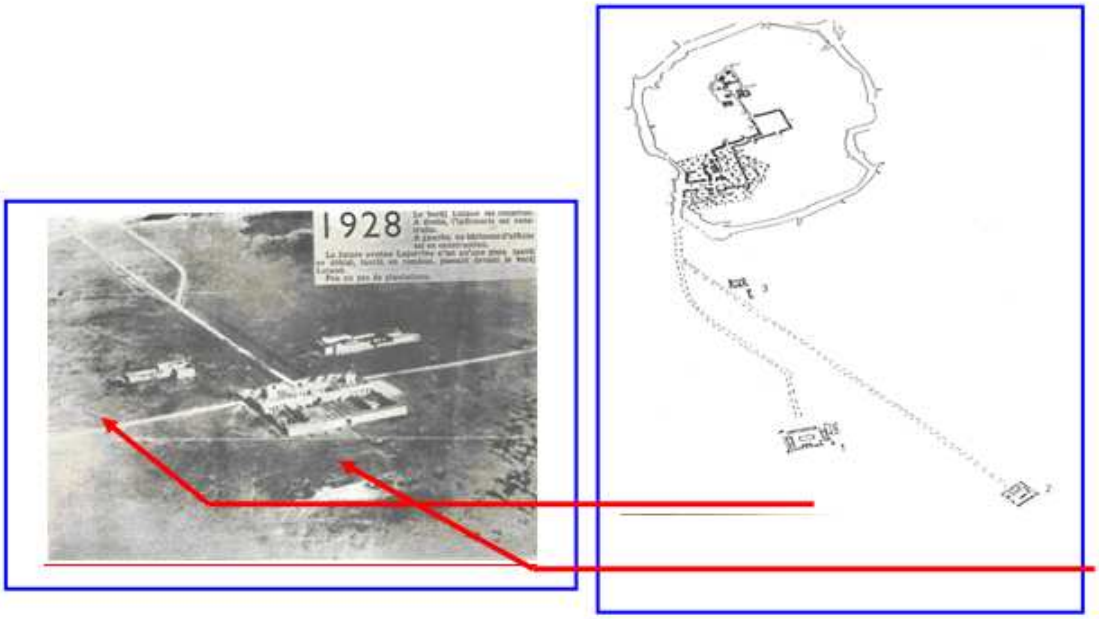

تطور المدينة كان من خلال وظيفية و استقطاب السوق للتجمعات المجاورة و للتجارة التي كانت تتم مع القبائل مما سمح بوجود رواج كبير ،لكن بعد مجيء الإدارة الاستعماري حدث الركود و تغيرت وظيفة المدينة إلى مركز إداري [4] في 1854 توغل المستعمر الفرنسي إلى وادي ريغ ليتم احتلال ورقلة في 1872 أهمية المجال وجهت الإدارة الاستعمارية إلى إنشاء مدينة جديدة موازية للقصر ابتداء من 1928 كما هو مبين أعلاه فكانت نقطة تحول هامة من خلال تجلي عمران موازي ودخيل رقى من التحولات العمرانية بالجهة، بعد الاستقلال وبالضبط بعد اكتشاف البترول 1956 زادت أهمية المنطقة فتم إنشاء المنطقة الصناعية فتسارعت حركة التعمير منتشرة في أنماطها المخططة والعشوائية مما عرض العمران التقليدي الأصيل إلى نزيف وتهميش من طرف الفاعلين والساكنة.

في أغلب الأحيان حاليا تأخذ المورفولوجية المجالية للمدينة الصحراوية شكل انضمام لعدة أنسجة تتماثل مع أربع فترات للتعمير:

1 –القصر أو المدينة التقليدية التاريخية والتي تؤلف نواة المدينة

2 – المدينة أو الإضافات الكولونيالية حول المدينة القديمة أو عند أطرافها.

3 – الأحياء العشوائية التي ميزت الفترة الأولى من الاستقلال

4–أ حياء التعمير المبرمجة في إطار البرامج السكنية المختلفة من سكن فردي، ذاتي، جماعي[5] ....

يحتوي القصر على سبعة أبواب هي:

باب عزي، باب عمار (لآلة منصورة)، بني إبراهيم، باب السلطان (بوسحاق)، باب أحميد ببني سيسين، باب البستان، باب رابعة، باب الربيع ببني وقين. كما تم تصنيفه كمعلم وطني بناءا على القرار المؤرخ 1999/11/03 وكقطاع

[4]- Yaël KOUZMINE. **Dynamique Et Mutation Territoriales Du Sahara Algérien Vers De Nouvelles Approches Fondées Sur L'observation**. Thèse de Doctorat en Géographie. UNIVERSITÉ DE FRANCHE-COMTÉ. 2007p :183

[5]– خليفة عبد القادر، **مرجع سبق ذكره**، ص 7

محفوظ في جلسة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية بتاريخ 2008/12/17 وهذا طبقا للمادة 43 من القانون 04/98 المؤرخ في 1998/06/15 المتعلق بحماية التراث الثقافي.

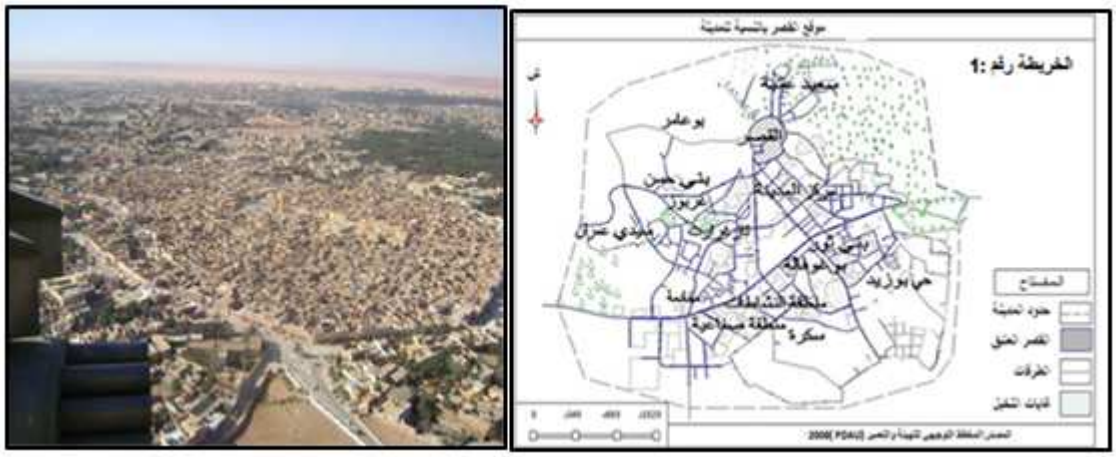

2-التغير الاجتماعي ومفارقة الأصالة والمعاصرة: الثابت تاريخيا أن الإدارة الاستعمارية استهدفت المجتمعات المحلية من كل الجوانب لاحتوائها حتى يحصل لها تمكين في استغلال الثروات من جهة وطمس الهوية و الانتماء الثقافي و الحضاري من جهة أخرى، فالمحاولات المبكرة التي قامت بها تمثلت في إنشاء مدينة جديدة متمايزة بمعالم دخيلة عن العمران المحلي و خصوصيات البيئة الحضرية فكانت التجهيزات و الخدمات ككاشف عن الفروق المدنية الحضارية بين المجتمعين ، المبادرة استعملت كتمهيد لاستلاب المجتمع تدريجيا من خلال تحويله على القيم و العادات المحلية بهدف تطويره وعصرنة حياته حسب المقاربة الاستعمارية و الاستدمارية، تطمح إلى تحقيق نتائج خفية و التي كانت تدخل ضمن محاولات التطور الاجتماعي للمجتمعات المحلية ، رغم التمسك بالثوابت المحلية إلا أن التمهيد لتحويل تلك المجتمعات و غيرها ظل قائما يستدعي فقط التحفيز و التفعيل و هو ما تم في المراحل الأولى من الاستقلال الوطني ،على أساس أن التغير الاجتماعي ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية و لأنه وسيلة لبقائها ونموها، كما يعد جزء من التغير الحضاري الشامل[6]، وهو ما يدفعنا إلى التسليم بحتمية التغير و التحول الاجتماعي بحكم الخلفيات السابقة و ضرورات المرحلة التنموية التي كانت تستهدف الارتقاء بإطار الحياة للساكنة و تحديث الحياة بوجه عام لمواجهة التركة الاستعمارية (التدهور ، التخلف ، الفقر ، الفوارق الاجتماعية ...) وهو ما يمكننا ان بداية التحول و التغير الاجتماعي كانت نتاج خلفية استعمارية بحته لتظهر و تتطور تدريجيا في إطار الزمان و المكان مستفحلة في مرحلة التدهور البيئي و تصاعد الهجرة نحو الجنوب و المجالات الآمنة .

عليه فان التغير الاجتماعي حقيقة متأصلة في طبيعة المجتمعات، اذ يتناول الجيل اللاحق " الجوانب الثقافية والتراث الاجتماعي " من الجيل السابق ويضيف إليها تارة و يعدلها تارة أخرى بحيث ينتهي تعاقب الأجيال إلى تغير المجتمع الإنساني في الكثير من الخصائص تمشيا مع الواقع الاجتماعي، فظاهرة التعايش تشمل كل مرافق الحياة،فنحن نعيش في عالم مفتوح متغير غير ثابت من جميع النواحي[7] .

اجتمعت عوامل عديدة جعلت من الأنسجة القديمة في مدن الصحراء محل تحول وتغير دائم ، إذ حفزت عمليات التدهور العمراني للقصر و سمحت بتلاشي المعالم المعمارية تدريجيا مما يصعب من عمليات الاسترجاع و التي تكون مكلفة من كل الجوانب ، عمليات التحول التي كانت مقصودة من طرف الفاعلين المحلين والمتمثلة في إدخال الخدمات

[6] – محمد عاطف غيث، **النظام والتغير والمشاكل**، الجزء الثاني، دار المعارف الإسكندرية، ص: 191

[7] – إحسان محمد الحسن، **قاموس علم الاجتماع**، دار الطليعة بيروت، 1981 ص: 190

و التجهيزات إلى ساكنة القصر أحدثت تشوهات و تغيرات نالت من أصالة العمران ، مما جعل هذه الأخيرة محل مساومة و استخفاف أمام تيارات التجديد و التحديث التي كانت تعمل على تغيير نمط الحياة في البيئات الحضرية العتيقة ، لان المعاصرة رافقها التحول والتطور الاجتماعي أضفت إلى نتائج غير محمودة جعلت البيئات التراثية في أزمة حقيقية نتائجها تتجه إلى التعقيد أكثر في المستقبل إن لم تحين مشاريع لإنقاذ من خلال الاعتماد على العمران التشاركي و الذي يذكي المشاركة و الشراكة و التشاور ....و هو ما من شانه أن يحافظ على مقاربة الأصالة و المعاصرة في خضم التغير الاجتماعي و التمثلات المجتمعية لمدن الجنوب .

3-الديناميكية الحضرية والتغير الاجتماعي: الصحراء الجزائرية اليوم حضرية بالدرجة الأولى، اذ لم تعد تلك الواحة كما كانت عليه منذ ماض قريب، حقيقتها وواقعها العمراني و الاجتماعي يؤدي بنا إلى الوقوف على كم معتبر من التحولات الاجتماعية العميقة و المتسارعة، فالواقع يثبت أن 80% من سكان الصحراء باتو حضريين، وجعلت مدن الجنوب يعرفون ديناميكية عمرانية فاقت مدن الشمال الجزائري[8]، مدينة ورقلة هي الأخرى تدخل في هذا المساق فلقد عرفت ديناميكية عمرانية متسارعة و غير منتظرة ، تعود إلى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية للسكان بعد التحسن الاقتصادي و الاجتماعي الذي عرفته المدينة إلى جانب حركة التعمير و المشاريع السكنية خاصة قبل و أثناء التدهور الأمني بالجزائر وتزايد التدفقات السكانية من المناطق الداخلية والمدن الساحلية المتضررة من التدهور الأمني وهو ما ساهم و تفعيل وثائر التغير الاجتماعي و تراجع القيم المعمارية للقصر إذ أصبح غير أهل لساكنته الأصلية و هو الأمر الذي رفع من مظاهر التغير الاجتماعي و العمراني ، إذ أصبحت البيئة الحضرية غير متجانسة بشريا وغير ملتحمة ثقافيا من خلال تعدد الأنساق الاجتماعية التي تعود إلى التنوع الثقافي الذي أصبح يميز القصر والذي سمح ببداية تلاشي الوحدة الاجتماعية فتنوعت الممارسات الحضرية على السكن و الفضاءات و حتى انساق الحياة الاجتماعية أصبحت تشهد التنوع في بيئة ظلت و لفترة طويلة من الزمن محافظة تطبعها الحيوية والوفاق الاجتماعي الثقافي .

التوسع العمراني لمدن الصحراء الجزائرية بعد الاستقلال والذي أثمر مدنا " حديثة " هذا التوسع يتوافق تماما مع التوزيع المجالي الاجتماعي للمجموعات الاجتماعية التي شكلت سكان المدن .... هذه التوطنات قد صاحبت الواحة منذ إنشائها لكنها وعبر تاريخها الطويل كانت مؤقتة وموسمية تبعا لنمط معيشة البدو وأشباه البدو في دورة حياتهم السنوية، حتى التثبيت النهائي للبدو في حدود نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، تحت تأثير العهد الكولونيالي وانتهاء بأحياء التوسعات الجديدة [9]، في حدود هذا المسار الزمني تمثلت تحولات و تغيرات شملت الجانب الاجتماعي و الاقتصادي و العمراني من خلال ان القصور اليوم أضحت تعرف تدهورا كبيرا و تحولا عميقا ينذر بمخاوف على أكثر من صعيد، نلاحظ ان معظم السكان استفادوا من سكنات جديدة في أحياء مختلفة و العائلات المستفيدة لم تتحول بأكملها محافظة على سكناتها القديمة إلى جزء من الأسرة أو قامت بكرائها في طور التمدن أو القادمين الجدد من التل أو من الأوراس، التطور العمراني في الصحراء فرض على السكان استراتيجيا تسكنية جديدة شجعته السياسة العمومية وساهم في بناء هويات اجتماعية جديدة [10].

تشكل الهويات الجديدة في المسار الحضاري الاجتماعي لا يمثل سوى حتمية يجب التسليم على أساس أن التحول حتى وان كان عن إكراه من خلال نتائجه السلبية يجب أن يوجه ويقيم لتهذيب نتائجه وتفادي سلبياته لاحقا، يتم هذا من

[8]- MARC. Cote .**Dynamique urbaine au Sahara** .Revue Algérienne d'anthropologie est science sociale .N^0 05 Mai – Aout 1998 page :89

[9] – عبد القادر خليفة، **الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية**، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثامن جوان 2012 ص2

[10] – يوسف قدوري و أسيا خرشه، **انعكاسات انتقال الأسرة الصحراوية من الأسرة الموسعة إلى الأسرة الزواجية على الصحة النفسية للأفراد** . مجلة الواحات للبحوث والدراسات . العدد : 15 . 2011 . ص : 302-303

خلال الدراسات الاستشرافية للاجتماعيين والعمرانيين وكل إشراك كل الفاعلين والعارفين لتأصيل المجتمع والحفاظ على كل مكوناته من عمران واقتصاد و هوية وفق الخصوصية المحلية والحضارية.

4-التحولات الاجتماعية والمخالفات العمرانية : الاكتشافات المتعلقة بالطاقة و الموارد كانت لها المرجعية في نوعية الحراك و التحولات إذ فرضت نوعا من الخصوصية في البنية التحتية لتلك المناطق مما جعلها قطبا لجلب السكان ومناطق مشجعة على الاستقرار و ممارسة الأنشطة الاقتصادية [11]، مما جعلالقصور تعرف تحولات عمرانية عديدة بعضها عميقة أي تمس بمبادئ وأسس الحفاظ على الأنسجة العتيقة وأصالتها وأخرى سطحية لم تتدخل على المواضع الحساسة والفاعلة في تكوينه وإنما جاءت لتحسين أداء الوظائف وتقوية أدوارها، بداية التحولات تعود إلى الفترة الاستعمارية و بالضبط بين (1887 – 1927) بعد إنشاء ثلاثة أبراج للحماية فكانت على حساب بنايات القصر إلى جانب إنشاء صيدلية و مجلس قضائي بالقصر فكانت كتحفيز لضرب الهوية الحضارية التراثية للمنطقة [12].

هذه التحولات كانت إما بتدخل من السلطات المحلية أو من طرف السكان، وقع تنافر واختلاف شديد بين الفاعلين (الوصاية والسكان) في عملية التدخل أين حاولت السلطات أن توازن بين المحافظة على النسيج العمراني التقليدي للقصر وتطوير الوظائف المقدمة حسب احتياجات السكان الجديدة، أما عن تدخلات السكان فكانت معظمها حسب احتياجاتهم الخاصة فقط دون مراعاة جانب الحفاظ على التراث العمراني والمعماري للقصر، فكانت تدخلات عنيفة أهدرت بالقيم العمرانية و التراثية يمكن تصنيفها ضمن المخالفات العمرانية من خلال إحداث تغير أو تحول في العناصر الإنشائية للمسكن ، و في مجموعها كانت عبارة عن ردود أفعال طوعية بدعوى الملكية الخاصة للمسكن و حتى الفضاء أو المجال المجاور كالفضاءات العمومية التي تم التعدي عليها و استغلالها لأغراض شخصية وما يمكن تثمينه ان بعض الحالات و التي تعد قليلة متمسكة بالقيم التاريخية والمبادئ التقليدية المحافظة على الأصالة و التناسق والانسجام العمراني.

وشهدت كل من الأحياء الثلاثة للقصر تحولات عمرانية ومعمارية حديثة النشأة وهذا ناتج عن تطور احتياجات قاطنيه من جهة و ارتفاع الزيادة المعتبرة للسكان المحلية (الكثافة السكانية) و التي من الواجب التفكير فيها وإيجاد حلول لها خارج المحيط التراثي للقصر حتى يتمكن الفاعلين من التدخل لإنقاذ المساكن و الفضاءات المتدهورة و حفظ الأخرى التي طالها التغيير و التحول ، هذا إلى جانب الوافدين من المدينة وخارجها في الآونة الأخير (العشريتين الأخيرتين) و الذين شكلوا ثقلا و إكراها في تأهيل القصر و حراكه باتزان ، لذا فهو يصنف من أكبر القصور الصحراوية المأهولة بالسكان التي تعرف مشهدا حيا للصراع بين التشبث بالأصالة والتطلع للمعاصرة، أين مست هذه التحولات بعض أسس ومبادئ العمران التقليدي التي أنشأ عليها القصر وهذا بمختلف أنواع التدخلات التي تسعى جمعية المحافظة على القصر وباقي الفاعلين على استرجاع القيم العمرانية للقصر باعتباره مرجعا للهوية الحضارية للمنطقة .

5-التحولات والمخالفات العمرانية العامة في القصر

شملت تدخلات عمومية وخاصة ساهمت في التحول العمراني من بينها[13]:

5-1 إعادة الهيكلة و رد الاعتبار: من بين التحولات و التغيرات التي مست القصر عمليات إعادة الهيكلة لطرق القصر لتسهيل الوصولية إلى المركز المتمثل في السوق(حي بني سيسين الذي يحتل الجزء الجنوبي من القصر وحي بني وقين

[11]- BISSON. J / BISSON.V : **Rôle et évolution des capitales de région dans le fonctionnement de l'espace au Sahara,** revue Méditerranée, tome 99 n° 3.4, (2002).
[12]- Yaël KOUZMINE. Op cité p : 189

[13]- بن عبد القادر خالد، وذان عبد الباري. **مرجع سبق ذكره** . ص : 189

الذي يحتل الجزء الشمالي الشرقي وحي بني إبراهيم) مست العملية المساكن المتدهورة و الهشة مما أحثت تغيرات جوهرية لها أثرها على بنية و هيكل القصر، الطريق الميكانيكي الذي تم شقه اخل بخصوصية المجال فمن جهة يتم العمل على الارتقاء بإطار الحياة للساكنة لكن على حساب التراث العمراني للقصر.

كما تم توسيع الطريق المؤدية إلى الساحة المركزية بالقصر (ساحة الشهداء) حيث تشكل المدخل الرئيسي والفعال الرابط بين القصر والمدينة، وذلك بتوسيع الالتقاء وإدراج الحلقة المرورية ، كما توضحه الصور أدناه :

الصورة : 1 و2 النقاط المفصلية و الحساسة في القصر العتيق بعد عملية الهيكلة

لإيصال الخدمات الضرورية للساكنة بالقصر تمت مشاريع تنموية في إطار التنمية المحلية فتم التجهيز بمختلف الشبكات القاعدية فالتغطية قدرت بـــ: 96 %بالنسبة لشبكة المياه الصالحة للشرب ، و نسبة 94% بالنسبة للكهرباء،الى جانب التغطية بشبكة الغاز الطبيعي ، حيث وصلت نسبة التغطية بالنسبة لشبكة الصرف الصحي الى88%والحد من الصرف التقليدي، الشبكات عملت على تعصير نمط الحياة بالقصر وهو ما عمل على اختفاء الاطار التقليدي مما جعل التحولات العمرانية تواكب عمليات التغير الاجتماعي من ان التدخلات كانت كاستجابة لمستوى الطلب الاجتماعي المتطلع الى حياة ارقى و احدث في خضم سيرورة التغير الاجتماعي الذي تعرفه المجتمعات في عصر العولمة .

نتيجة المصاعب المطروحة في مجال الحركة والتنقل بين احياء القصر والى الخارج كون العمارة التقليدية تمتاز بضيق الشوارع والتوائها اذ تعيق عمليات الإنقاذ من الحرائق، او الإسعاف في حالة المخاطر، للغرض نفسه أقدم الفاعلون على تخصيص عمليات لرد الاعتبار الى شبكة الطرق والدروب وهو الذي سمح بتوسيع الشوارع خاصة بعد مد شبكة الغاز، وانشاء الأرصفة وتبليطها الى جانب انشاء بعض المساحات الخضراء وفق ماجاء به مخطط استخدام الأرض رقم: 1 في 2008.

الصورة رقم: 3 و4 تهيئة الشوارع والدروب داخل القصر

2-5 عمليات التحسين الحضري:

كانت من بين عمليات التدخل الهامة التي سمحت باسترجاع القيم التراثية من خلال تحسين الواجهات العمرانية بمواد محلية ووفق أساسيات الإنشاء المعماري للمدينة العربية الإسلامية، العمليات كانت على امتداد واجهات حضرية

استعادت جاذبيتها(مدخل السوق ،والشارع الخارجي المحيط بالقصر والطريق الرابط بينه وبين المدينة ، بعض الشوارع ذات الحركة التجارية).

الصورة رقم: 5 و6 تحسين الواجهات الحضرية

5-3 الترميم والتكثيف الحضريين : يعد كعملية تحسين وتحويل المباني القديمة إلى الأفضل مع الحفاظ على النسق القديم وتطويره وذلك باستعمال مواد البناء المحلية ومواد البناء الحديثة ودمج هذه المواد مع بعضها واستعمال طرق بناء محلية للحفاظ على الصورة القديمة بصبغة جديدة حيث اهتمت السلطات المحلية بهذه العملية لحماية الإرث العمراني خاصة المعالم التاريخية القديمة مثل المساجد العتيقة والزوايا.

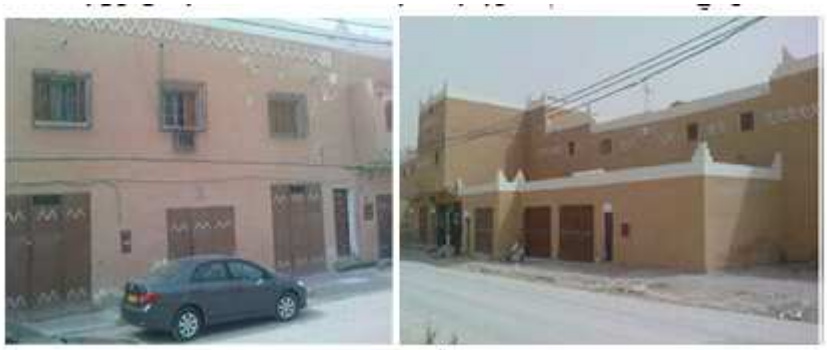

الصورة رقم: 7 نموذج من المباني المرممة الصورة رقم 8 تفاصيل الواجهات المعمارية

رغم تشبع العقار الحضري (المبني) بالقصر إلا أن الفاعلين رفعوا من كثافة الاستخدام وهذا لضمان استغلال كل الجيوب الفارغة،وتجسد ذلك فيإدراج بعض التجهيزات والمرافق في الأجزاء الغير وظيفية كالصندوق الوطني للتوفير والاحتياط وكذا بعض المحلات التجارية في بعض الأملاك التابعة للبلدية.

الصورة 9 و10 نموذج عن التكثيف بالقصر، الخدمات والتجهيزات

6-التحول في استعمال التقنيات ومواد البناء

تم إدماج وإدخال تصاميم دخيلة على العمارة الإسلامية الصحراوية العتيقة إلى جانب ظهور مقاييس عمرانية وفق مخططات معمارية قريبة إلى السكن الحديث وبعيدة إلى حد بعيد على خصوصيات العمارة التقليدية، من الأساسيات

إلى الجدران الحاملة والأسقف والمباني المتراصة، وهو ما سمح كذلك بانتشار نمط الفيلات والمساكن الحديثة بمواد بناء غير محلية كما هو موضح أدناه

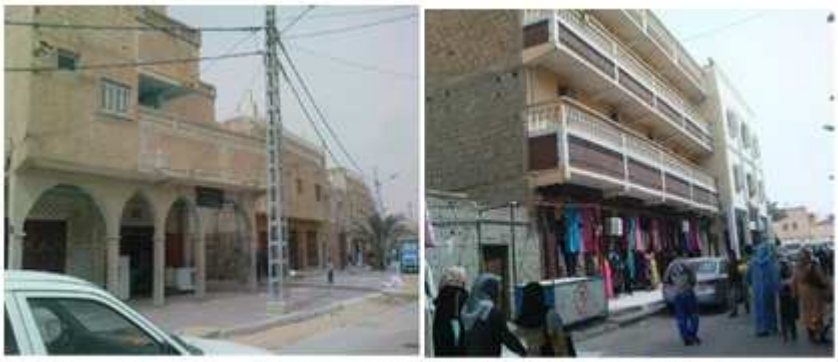

الصورة رقم 11 و12 سيادة نمط بناء الفيلات بمواد بناء حديثة بالقصر العتيق

عملية التغير الاجتماعي شكلت دافعية للمخالفات العمرانية التي كانت طوعية من مختلف الفاعلين فأحدثت اختلال في وظيفية المجال وجعلت العمران التقليدي في أزمة من حيث المحافظة على الهوية أو استمرار الوظيفة.

7-إمكانات الحفاظ العمراني وتأهيل العمران التقليدي

متى عرفت أسباب التلف يصبح بالإمكان إيجاد الوسائل الكفيلة بترميم الموقع و حمايته ، حيث ان مجرد ترميم الأجزاء التالفة مهما يكن واسعا و متكاملا فهو غير كاف ، إذ من الضروري اتخاذ الإجراءات لضمان الحماية في المستقبل ولهذه الغاية يجب إنشاء مراكز في الموقع نفسه تملك القوة و التسهيلات الإدارية اللازمة لمنع تكرار التداعي وضمان الرقابة المطلوبة [14] ، العمارة التراثية بالجنوب تستدعي تحيين اليات وميكانيزمات تدخل لإنقاذ تراث مهدد بالاقبار ، من أولى الأوليات يجب الاعتماد على الحفاظ العمراني و إعادة التاهيل كبدائل لا مناص منها و كمخارج مفصيلة لتجاوز الاكراهات الحالية و حتى لا نقع في ثقل التراكمات اللاحقة وبناء على ذلك نوصي ب :

- لا يمكن أن يتوقف العمل فقط على تقيد التدخلات وتضمينها هذه السمات دون أن يتم التوجه إلى التنمية المستدامة المجتمعية والتي تقوم على أساس المشاركة الشعبية والحكامة التي تجعل من المشاركة شراكة فعلية على المستويين الأفقي والراسي.
- تؤكد عملية التمكين المستدام على أهمية تحقيق عامل الاستدامة وذلك من خلال تناول عملية التنمية من منظور شامل على أساس ان الاستدامة هي عملية توازن بين الجوانب العمرانية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية للتنمية.

[14] – بودر يغو م. ف. دي أند رادي، **الحفاظ على المواقع الحضرية**، ترجمة الدكتور خالص الاشعب في صيانة التراث الحضاري المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم. إدارة الثقافة تونس. ص:331. 1990

وذلك بمعنى تمكين المجتمع من القيام بدور فعال في جميع مراحل عملية التنمية العمرانية بهدف إعداد بيئة عمرانية مناسبة له وللأجيال القادمة [15] .

- التعجيل بالانتقال إلى التدخلات العملية على مستوى القصر والتي تعتمد على أساليب جد متقدمة وحققت النجاعة والفاعلية على غرار التجارب التي تمت بالدول الغربية والعربية، لان عملية الحفاظ العمراني والتأهيل كفيلان بالإحياء العمراني وتجاوز التدهور العمراني.
- سن إجراءات ردعية تجاه المخالفات العمرانية التي تقوم بها الساكنة والرفع من حسها لتحول إلى موارد بشرية مشاركة في العمراني التشاركي حتى إلى أن يتمك التحول بها من المشاركة إلى الشراكة الحقيقية.
- الارتقاء بالقصر من تراث وطني إلى عالمي كمشروع تتبناه اليونسكو لتتم الاستفادة من الخبرة والتمويل لان عمليات الإنقاذ ليست بالهينة سواء من وجهة التحكم الفني والتقني أو المالي.
- ادماج مختلف عمليات التدخل ضمن برامج التنمية المحلية و دعوة كل الفاعلين الى المساهمة في مشروع انقاذ العمارة التقليدية ، الى جانب التنسيق مع المنظمات و الجمعيات و المجتمع المدني في الداخل و الخارج .
- تفعيل دورة شرطة العمران و البيئة في حماية التراث ، و الرفع من مشاركة جمعيات المجتمع المدني لحماية القصر من الوجهة المعمارية اومن جانب المحافظة على الصناعات التقليدية و مختلف الحرف من الزوال .

تأسيس صندوق خاص يأخذ بالقصرالى الواجهة التي يجب ان يكون عليها.

الخاتمة :

يدخل التغير الاجتماعي ضمن الحتمية الحضارية التي تقطعها المجتمعات في مسار حياتها وفق مختلف الاسهامات التي تمت حسب الظروف المحيطة و طبيعة كل مرحلة والعوامل المؤثرة الخارجية ، التغيرات التي تحدث من طرف هذه الأجيال تشكل تراكمات لمختلف القناعات فلا يمكن قطع هذا الحراك لكن من الممكن تصويبه او انتقاء ما ينتج من خضم هذا التغير الاجتماعي ، اثبتت الدراسة انه توجد علاقة وطيدة بين الغير الاجتماعي و المخالفات العمرانية متميزة بالسلبية و التراجع من خلال عمليات الهدر للقيم التراثية المحلية ، بدايات التخلي عن الثقافات المحلية الاصلية التي عمقت من التكيف و الاندماج الاجتماعي للسكان ببيئاتهم .

التشخيص لهذه الحالة يستدعي تحيين استراتجيات تدخل فاعلة لإنقاذ التراث العمراني للمدينة الصحراوية من التدهور و التشويه و إزالة كل التراكمات التي تسير الى ثقل الحداثة الهدامة في فترة العولمة و التي تستدعي التشبث اكثر بالقيم التراثية المادية و المعنوية، للمحافظة على هوية و شخصية المجتمعات المحلية مع الاستمرار في التفاعل لكن في حدود الإيجابية و التغير الاجتماعي الذي يضيف قيم مضافة للرصيد و ليس العكس .

[15] – ريمان محمد ريحان،2002، **تنمية المجتمعات الجديدة – التمكين كأداة فاعلة في عمليات التنمية الحضرية المستدامة**، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة، جامعة القاهرة. ص: 297